

القرآن منهاج حياة

محمد الخلف

الطبعة الأولى

١٤٤١ هـ / ٢٠٢٠ م

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
 مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ
 اللَّهُ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلِّ جَعَلْنَا
 مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً
 وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۚ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ
 مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلَفُونَ﴾

[سورة المائدة: آية ٤٨]

قال الإمام الطبري:

«لكل أمة منكم جعلنا شريعة يعملون بها وطريقاً
 بيناً واضحاً يسلكونه».

قال الشيخ السعدي في تفسيره:

﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ أيها الأمم ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾
 أي سبيلاً وسنة .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ توطئة بين يدي الكتاب ... ﴾

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء
وسيد المرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم.

أما بعد:

فإن هاجس كل مسلم - أحب الخير لنفسه وللمسلمين -
أن يرى عباداته ومعاملاته وسلوكه وأخلاقه مستضيئة ومهتدية
بنور الكتاب والسنة.

و ألا يقف عند تلاوته وحفظ آياته بل يتعدى ذلك إلى
ترجمة المعاني إلى أقوال وأعمال ومعاملات في مختلف ميادين
الحياة في المسجد والبيت والعمل والشارع والمدرسة و



ولعل هذه الرسالة على قصرها مساهمة وتذكرة لكتابها
ولمن قرأها من إخوانه ووسيلة قياس وتقويم لحال كل واحد
منا مع كتاب الله تعالى وأثره في واقع حياته، وبالتالي نتدارك ما
بقي من أعمارنا ونتخلق بأخلاق قرآننا وما جاء في سنة نبينا عليه
أفضل الصلاة والتسليم الذي كان خلقه القرآن.

والله أسأل لي وللمسلمين الاستقامة على دينه والثبات عليه
حتى الممات وأن يرزقنا جميعاً الإخلاص في القول والعمل.
وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

محمد الخلف



حالتنا اليوم مع القرآن الكريم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب العالمين وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث بالكتاب المبين، الفارق بين الهدى والضلال، والغي والرشاد، والشك واليقين.

أنزله لنقرأه تدبراً، ونتأمله تبصراً ونسعد به تذكراً، ونحمله على أحسن وجوهه ومعانيه، ونصدق به ونجتهد على إقامة أوامره ونواهيه^(١).

كثيرون الذين يقرؤون القرآن، فلا تجد له تأثيراً في سلوكهم وأخلاقهم ومعاملاتهم، حتى إنك لترى بعض هؤلاء في أخلاقه سوء، وفي معاملاته غلظة وبشاعة مع أهله وجيرانه ومع الآخرين، فما والله هذه الأخلاق التي يجب أن يتحلى بها المسلم القارئ المتدبر لكتاب الله عز وجل، فأين أثره في النفوس؟.

(١) كتاب الروح لابن القيم.

إنما يحدث في بلاد المسلمين اليوم من مصائب وفتن وزلازل ومحن ما هو إلا بسبب بعدهم عن كتاب ربهم، وعدم التحاكم إليه، والعمل بما فيه؛ وإلا فالقرآن كتاب عظيم يربي النفوس، ويصنع الأمم، ويبني الحضارات، فهو نور أنزله الله لنؤمن به ونتفعل ونعمل بما جاء فيه؛ لنخرج من الظلمات إلى النور . فالعيب إذاً في أبصارنا التي لم تر النور؛ لأنها مغلقة عن هدي القرآن ونوره وفضله الذي جعله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في هذا الكتاب العزيز ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في كتاب الفوائد:

(لما أعرض الناس عن تحكيم الكتاب والسنة والمحكمة إليهما، واعتقدوا عدم الاكتفاء بهما، وعدلوا إلى الآراء والقياس والاستحسان وأقوال الشيوخ، عرض لهم من ذلك فساد في فطرهم وظلمة في قلوبهم وكدر في أفهامهم ومحق في عقولهم،

(١) سورة الإسراء، الآية ٩.

القرآن منهاج حياة

وعمتهم هذه الأمور وغلبت عليهم حتى ربي فيها الصغير، وهرم عليها الكبير، فلم يروها منكراً فجاءتهم دولة أخرى قامت فيها البدع مقام السنن، والنفس مقام العقل، والهوى مقام الرشد، والضلال مقام الهدى، والمنكر مقام المعروف، والجهل مقام العلم، والرياء مقام الإخلاص، والباطل مقام الحق، والكذب مقام الصدق، والمداينة مقام النصيحة، والظلم مقام العدل، فصارت الدولة والغلبة لهذه الأمور، وأهلها هم المشار إليهم، وكانت قبل ذلك لأضدادها، وكان أهلها هم المشار إليهم^(١).

هذه صورة لحال الناس الذين عاصرهم ابن القيم في النصف الأول من القرن الثامن الهجري، فلو وقف على أحوالنا ماذا عساه أن يقول؟!

إن الأمر جد خطير، ويحتاج منا إلى وقفات تأمل في سلوكنا ومعاملاتنا وعباداتنا بصفة عامة، وأن نعرضها ونزنها بميزان القرآن الكريم، وبعد التأمل لابد من محاسبة النفس وحملها

(١) كتاب الفوائد لابن القيم (ج ١ ص ٥٥).



على الانقياد التام لكتاب الله العظيم وسنة أفضل المرسلين،
ولكي نحقق ذلك علينا أن نتفهم الحكم من نزول القرآن الكريم
- التي إن استحضرتها وأخذنا بها صلحت أمور ديننا ودنيانا -
ويمكن أن نجملها في:

المطالب الخمسة التالية:

- ١ - تلاوته كما أنزل.
- ٢ - تدبر آياته.
- ٣ - العمل به.
- ٤ - الصبر على ما فيه.
- ٥ - الدعوة إلى تحكيمه.



المطلب الأول

﴿تلاوته كما أنزل﴾

القرآن كلام الله المعجز المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ليتعبد بتلاوته، ولتفهم معانيه، وليعمل بما جاء فيه. وحتى يتمكن الإنسان من العمل بالقرآن فلا بد له من تلاوته وفهمه^(١).

ولقد أثنى الله - سبحانه - ونبه محمد صلى الله عليه وسلم على من يتلون كتاب الله ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَّنْ تَكُونَ لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٢٩) ﴿٣٠﴾^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب»^(٣).

(١) من مقدمة شرح أصول التفسير د. عبد الله الطيار .

(٢) سورة فاطر، الآيات ٢٩-٣٠.

(٣) رواه أحمد والدارمي والترمذي وقال حسن صحيح.



وعن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
«أفضلكم - أو خيركم - من تعلم القرآن وعلمه»^(١).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مثل
الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة ومثل
الذي يقرأ القرآن وهو يتعاهده وهو عليه شديد، فله أجران»^(٢).

والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة فلترجع في مضانها؛
لتنشط النفوس وترغب في المداومة على تلاوة كتاب الله تعالى
وبعد أن وقفنا على هذه النصوص المرغبة والحاثة على
تلاوة كتاب الله تعالى - على أكمل وجه - حري بنا أن نجتهد
في تعلم التلاوة وإتقانها، وإن من العيب أن نقصر ونتكاسل عن
تعلم تلاوته - في الوقت الذي نجتهد فيه لتعلم أمور دنيوية -
وخاصة أن وسائل التعليم متنوعة في هذا العصر - والله الحمد -

(١) أخرجه البخاري في فضائل القرآن وغيره من أئمة الحديث .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير .



القرآن منهاج حياة

من الأشرطة السمعية والمرئية وإذاعات القرآن الكريم، هذا لمن لا تمكنه ظروفه من الجلوس مع مجيد للتلاوة ليتعلم على يديه.



المطلب الثاني

﴿ تدبر آياته ﴾

قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (٨٤) (١).

وقال عمرو بن مرة: أكره أن أمر بمثل في القرآن فلا أعرفه، لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ (٤٣) (٢).

وكان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا قَرَأَ ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (١٦) (٣) يبكي حتى يغلبه البكاء (٤).

(١) سورة النساء، الآية ٨٢.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٤٣.

(٣) سورة الحديد، الآية ١٦.

(٤) حلية الأولياء ١ / ٣٠٥.

قال ابن القيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ: إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألقِ سمعك قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (٣٧) (١) (٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: لا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بتدبر وتفكر

وبالجملة فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر فإنه لجميع منازل السائرين وأحوال العاملين ومقامات العارفين، وهو الذي يورث المحبة والشوق والخوف والرجاء والإنابة والتوكل والرضا والتفويض والشكر وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله .

وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة التي بها فساد القلب وهلاكه، فإذا علم الناس ما في قراءة القرآن

(١) الفوائد (١٢١-١٢٢).

(٢) سورة ق، الآية ٣٧.

القرآن منهاج حياة

بالتدبر اشتغلوا بها عن كل ما سواها، فإذا قرأه بتفكر حتى إذا ما مر بأية - وهو محتاج إليها في شفاء قلبه - كررها ولو لمائة مرة، ولو أمضى بها ليله فقراءة آية بتفكر خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان وتذوق حلاوة القرآن.

هذه كانت عادة السلف يردد أحدهم الآية إلى الصباح . وقد ثبت عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنه قام بأية يرددها حتى الصباح وهي قوله: ﴿ **إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ (١) (فقراءة القرآن بالتفكر هي أصل صلاح القلب، ولهذا قال ابن مسعود: «لا تهذوا القرآن هذو الشعر، ولا تنثروه نثر الدقل، وقفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، لا يكن هم أحدكم آخر السورة».

وروى أبو أيوب عن أبي جمرة قال: «قلت لابن عباس: إني سريع القراءة إني أقرأ القرآن في ثلاث قال: لأن أقرأ سورة

(١) سورة المائدة، الآية ١١٨.



من القرآن في ليلة فأتدبرها وأرتلها أحب إليّ من أن أقرأ
القرآن كما تقرأ».

❁ والتفكر بالقرآن نوعان:

تفكر فيه ليقع على مراد الرب تعالى منه، وتفكر في معاني ما
دعا عباده إلى التفكر فيه:

❁ فالأول تفكر في الدليل القرآني.

❁ أما الثاني فتفكر بالدليل العياني .

فالأول تفكر في آياته المسموعة، أما الثاني تفكر في آياته
المشهودة، ولهذا أنزل الله القرآن ليتدبر ويتفكر فيه ويعمل به،
لا لمجرد تلاوته مع الإعراض عنه .

قال الحسن البصري: «أنزل القرآن ليعمل به فاتخذوا
تلاوته عملاً»^(١).

(١) مفتاح دار السعادة (ج ١ ص ٣٣٩).

المطلب الثالث

العمل به

قال تعالى ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (٤٥) (١).

وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ (١٧٠) (٢).

وقال تعالى ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بِغَتَّةٍ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (٥٥) (٣).

وقال تعالى ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٣) (٤).

(١) سورة البقرة، الآية ٤٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٧٠.

(٣) سورة الزمر، الآية ٥٥.

(٤) سورة الأعراف، الآية ٣.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ ۖ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (١).

والمعنى يتبعون كتاب الله حق اتباعه، وقال تعالى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ (٢) و﴿إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣) وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ﴾ (٤).

فحقيقة التلاوة في هذه المواضع هي التلاوة المطلقة التامة، وهي تلاوة اللفظ والمعنى، فتلاوة اللفظ جزء من مسمى التلاوة المطلقة، وحقيقة اللفظ إنما هي الإتيان. يقال اتل أثر فلان، وتلوت أثره وقفوته وقصصته بمعنى تبعت خلفه.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَضَعَهَا ۙ (١) وَالْقَمَرِ إِذَا لِلْهَامِ (٢)﴾ (٤).

(١) سورة البقرة، الآية ١٢١.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٤٥.

(٣) سورة النمل، الآيات ٩١-٩٢.

(٤) سورة الشمس، الآيات ١-٢.



أي تبعها في الطلوع بعد غيبتها، إلى أن قال: المقصود التلاوة الحقيقية، وهي تلاوة المعنى واتباعه تصديقاً بخبره وائتماراً بأمره وانتهاءً بنهيهِ وائتماماً به، حيثما قادك انقذت معه . فتلاوة القرآن تتناول تلاوة لفظه ومعناه . وتلاوة المعنى أشرف من مجرد تلاوة اللفظ، وأهلها هم أهل القرآن الذين لهم الشاء في الدنيا والآخرة، فإنهم أهل تلاوة ومتابعة حقاً. انتهى كلامه^(١).

انظر أخي المؤمن في سيرة سلفنا الصالح ومدى تجاوبهم وانقيادهم لكتاب الله تعالى، لتقف على أثر القرآن العظيم في قلوبهم وعلى سلوكهم وواقع حياتهم.

ولعلي أنقل إليك إحدى هذه الصور والنماذج لأبي الدحداح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحد أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي ساقها الإمام القرطبي في تفسيره وذلك عند تفسيره لقول الله تعالى :

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَزْوَاجًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢٤٥) ^(٢).

(١) مفتاح دار السعادة (ج ٨٤).

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٤٥.

القرآن منهاج حياة

لما نزلت هذه الآية بادر أبو الدحداح إلى التصديق بماله ابتغاء ثواب ربه قال زيد بن أسلم: لما نزل: «من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً» قال أبو الدحداح: فذاك أبي وأمي يا رسول الله! إن الله يستقرضنا وهو غني عن القرض؟ قال: نعم يريد أن يدخلكم الجنة به، قال: فإني إن أقرضت ربي قرضاً يضمن لي به ولصبيتي الدحداحة معي الجنة؟ قال: نعم. قال: فناولني يدك، فناوله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يده فقال: إن لي حديقتين إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية، والله لا أملك غيرهما، قد جعلتهما قرضاً لله تعالى، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اجعل إحداهما لله والأخرى دعها معيشة لك ولعيلالك، قال: فأشهدك يا رسول الله أني قد جعلت خيرهما لله تعالى، وهو حائط فيه ستمائة نخلة، قال: إذا يجزيك الله به الجنة، فانطلق أبو الدحداح حتى جاء أم الدحداح وهي مع صبيانها في الحديقة تدور تحت النخل فأنشأ يقول:

القرآن منهاج حياة

هداك ربي سبل الرشاد إلى سبيل الخير والسداد
 بيني من الحائط بالوداد فقد مضى قرضاً إلى التناد
 أقرضه الله على اعتمادي بالطوع لا من ولا ارتداد
 إلا رجاء الضعف في المعاد فارتحلي بالنفس والأولاد
 والبر لا شك خير زاد قدمه المرء إلى المعاد

قالت أم الدحداح: ربح بيعك! بارك الله لك فيما اشتريت،
 ثم أجابته أم الدحداح وأنشأت تقول:

بشرك الله بخير وفرح ومثلك أدى ما لديه ونصح
 قد متع الله عيالي ومنح بالعجوة السوداء والزهو البلح
 والعبد يسعى وله ما قد كدح طول الليالي وعليه ما اجترح

ثم أقبلت أم الدحداح على صبيانها تخرج ما في أفواههم
 وتنفض ما في أكمامهم حتى أفضت إلى الحائط الآخر، فقال النبي
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كم من عذق رداح ودار فياح لأبي الدحداح^(١).

(١) تفسير القرطبي (ج ٣ ص ٢٢٥).

وبعد هذا هلا أخي المسلم سلكننا مسالك سلفنا الصالح،
واتخذنا كتاب ربنا منهاج حياة، وبادرنا إلى العمل بما فيه من
الآيات البينات، التي تأمر وتنهى، وترغب وترهب ومن ذلك:
قول الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا إِنَّمَا
يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا نَهْرُهُمَا
وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (٢٣) (١).

فهلا وقفنا عند هذه الآية وحاسبنا أنفسنا في برنا بالوالدين؛
فإن كنا قد أحسنا إليهما حمدنا الله تعالى وسألناه الإعانة
والقبول، وإن كنا قد قصرنا تبنا إلى ربنا ولزمنا الاستغفار
وأحسنا إليهما وسألناهما الصفح والعفو. وهلا وقفنا عند قول
الله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا
أَرْحَامَكُمْ﴾ (٢٤) (٢).

وتأملنا في صلتنا لأرحامنا، هل قمنا بما يجب علينا من

(١) سورة الإسراء، الآية ٢٣.

(٢) سورة محمد، الآية ٢٢.



الصلة والإحسان والصفح عن الزلات، والتماس الأعذار؟ أم أننا ممن لا يعرف أرحامه إلا في الملمات، ويقطع عند وجود الزلات، وإن وصل وصل الأغنياء وأصحاب الوجاهات.

وما موقفنا مع إخواننا عن تلاوتنا لقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢).

هل أحسننا الظن بإخواننا المسلمين وحملنا أقوالهم وأفعالهم على أحسن المحامل وحفظنا ألسنتنا عن الوقعة في أعراضهم؟ أرجو أن نكون من هؤلاء الذين انتهوا عما نهاهم الله عنه، واتقوا الله في أنفسهم وإخوانهم.

هذه مجرد أمثلة ووقفات عند بعض الآيات أحببت أن أذكر بها نفسي وإخواني لنحاسب أنفسنا قبل الحساب وحلول العقاب

(١) سورة الحجرات، الآية ١٢.

القرآن منهاج حياة

ولعلي أختتم القول في هذا الباب بتفسير ابن كثير رحمه الله تعالى لآية الظن هذه حيث قال: (يقول تعالى ناهياً عباده المؤمنين عن كثير من الظن - وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله - لأن بعض ذلك يكون إثماً محضاً، فليجتنب كثير منه احتياطاً. وروينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً، وأنت تجد لها في الخير محملاً) قال مالك: عن ابن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً»^(١).

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقَاطَعُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ»^(٢).

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.



وقوله تعالى ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾^(١) فيه نهي عن الغيبة وقد فسرهما الشارع كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود عن أبي هريرة قال: (قيل يا رسول الله ما الغيبة؟ قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: ذكرك أخاك بما يكره قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتته)^(٢).

وعن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** قالت للنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: حسبك من صفية كذا وكذا قال: غير مسدد تعني قصيرة فقال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته قالت: حكيت له إنسانا فقال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: ما أحب أني حكيت إنسانا وإن لي كذا وكذا^(٣).



(١) سورة الحجرات، الآية ١٢.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الترمذي من حديث يحيى القطان وعبد الرحمن.

المطلب الرابع

﴿الصبر على ما فيه﴾

من أوامر ونواهي وتشريعات بدنية ومالية، وحمل النفس والهوى على التسليم لأوامر الله ورسوله، ولا يتأتى هذا للمرء إلا مع المصابرة والمجاهدة - بعد توفيق الله تعالى - واستحضار لذة هذا الصبر التي تتحقق للمرء في دينه وآخرته قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١).

قال الإمام أحمد **رَحِمَهُ اللَّهُ** تعالى: الصبر في القرآن في نحو تسعين موضعاً. وهو واجب بإجماع الأمة؛ فهو نصف الإيمان، لأن الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر. وهو مذكور في القرآن على ستة عشر موضعاً (٢).

ومما يُعلم أن التكاليف الشرعية متفاوتة في حملها على

(١) سورة الزمر، الآية ١٠.

(٢) مدار السالكين (ج ٢ ص ١٥٢).

القرآن منهاج حياة

النفوس وحمل النفوس لها؛ فمنها ما يسهل فعله فتنقاد لفعله، ومنها ما يثقل فعله فتكاسل عنه أو تقصر فيه، وأقرب مثال على ذلك الصلوات الخمس، فصلاة الفجر ليست كصلاة الظهر أو المغرب في انقياد النفس لها - وهذا مشاهد في المساجد - لكن متى ما قويت محبة الله في قلب المسلم، وأخلص الله تعالى واحتسب الأجر والمثوبة سهلت عليه العبادات، بل ووجد اللذة والطمأنينة بأدائها، وهذا ما يؤكد الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى - في معرض كلامه عن أنواع الصبر حيث قال: (الصبر مع الله، وهو دوران العبد مع مراد الله الديني منه، ومع أحكامه الدينية صابراً نفسه معها، سائراً بسيرها مقيماً بإقامتها، يتوجه معها أين توجهت ركائبها، وينزل معها أين استقلت مضاربها. فهذا معنى كونه صابراً مع الله، أي قد جعل نفسه وقفاً على أوامره، ومحابه، فهذا أشد أنواع الصبر وأصعبها، وهو صبر الصديقين)^(١).

(١) مدار السالكين (ج ٢ ص ١٥٢).

القرآن منهاج حياة

قال البيضاوي في تفسيره لآية المصابرة في آل عمران: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣٠٠) ﴿١﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا﴾ على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد.



(١) سورة آل عمران، الآية ٢٠٠.

المطلب الخامس

الدعوة إلى تحكيمه

في جميع شؤون الحياة، والعمل بما فيه، والتأدب والتخلق بأخلاقه التي دعانا إليها، ندعو القريب والبعيد، ونبدأ بأنفسنا نجاهدها في جعله منهاج حياة لنا، ونوراً نستضيء به، ونثني بأقرب الناس إلينا. قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٦) (١).

فكم غافلا عن أهل بيته، وعن فلذات كبده فأسند التربية والتعليم إلى وسائل تهدم نعيم الآخرة ولا تبني نعيم الدنيا، يجلبها إليهم تارة، وتارة يجعل الأمر إليهم، فهلا حرصنا على أمور دينهم وتهذيب أخلاقهم وسلوكهم كما نحرص على ملذاتهم الدنيوية بأنواعها، ومسيرتهم التعليمية التي نرجو لهم

(١) سورة التحريم، الآية ٦.

القرآن منهاج حياة

من ورائها الرزق والرياسة، فأى ظلم لأهل بيته أشد من هذا الظلم؟! ظلم نفسه أولاً؛ حيث لم يقدّر بواجب الرعاية التي كلفه الله بها، وحرّم نفسه من ولد صالح يدعو له بعد موته كما جاء ذلك عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)^(١).

ثم ندعو غيرنا من إخواننا المسلمين، فنشفق على المقصرين منهم، وننتلطف في الأخذ بأيديهم ودعوتهم إلى الانقياد وتحكيم الكتاب والسنة في واقع حياتهم جملة وتفصيلاً؛ ممثلين لقول الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^(٢) وليعلم أن الدعوة ليست مقصورة على العلماء وطلاب العلم فقط، بل هي وظيفة كل مسلم علم شيئاً من الدين. قال رسول الله ﷺ: (بلغوا عني ولو آية)^(٣). كل بحسب علمه

(١) أخرجه مسلم.

(٢) سورة النحل، الآية ١٢٥.

(٣) أخرجه البخاري.



وإمكاناته، ومن ذلك:

- * دعوة أخ إلى درس أو محاضرة في أحد المساجد.
- * إهداء كتيب أو شريط لأخ أو قريب ليستفيد منه.
- * تبليغ فتوى لمن يحتاج إليها.
- * تذكرة وعظه في كلمات مختصرة في اجتماع أسري أو غيره.

والأمثلة والله الحمد أكثر من أن تحصر في هذه العجالة ومن اتق الله علمه الله، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٣٨٢) (١).

❁ أما المعرض عن القرآن :

فقد خسر الدنيا والآخرة - نسأل الله العافية - والآيات التالية تصف حال المعرض في دنياه وآخرته، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ

(١) سورة البقرة، الآية ٢٨٢.

عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾
قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ ﴿١﴾.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تكفل الله لمن قرأ القرآن، وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة ثم قرأ هذه الآية (٢).

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسيره لهذه الآية: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ ﴿١٢٤﴾، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾ «أي ديني، وتلاوة كتابي، والعمل بما فيه. وقيل: عما أنزلت من الدلائل. ويحتمل أن يُحمل الذكر على الرسول، لأنه كان منه الذكر. ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ أي عيشًا ضيقًا، وقيل: أعمى عن جهات الخير، لا يهتدي لشيء منها. وقيل: عن الحيلة في دفع العذاب عن نفسه، كالأعمى الذي لا حيلة له فيما لا يراه (٣).

(١) سورة طه، الآية ١٢٤-١٢٥.

(٢) الصواعق المرسله (ج ١ ص ٨٤٥).

(٣) تفسير القرطبي (ج ١١ ص ٢٢٩).

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في هذه الآيات ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ (١٢٤) ... وفسرت المعيشة الضنك: بعذاب القبر.

والصحيح: أنها في الدنيا، وفي البرزخ . فإن من أعرض عن ذكره الذي أنزله، فله من ضيق الصدر، ونكد العيش، وكثرة الخوف، وشدة الحرص والتعب على الدنيا، والتحسر على فواتها - قبل وبعد حصولها، والآلام فيها - التي في خلال ذلك - مالا يشعر به القلب، لسكرته، وانغماسه في السكر، فهو لا يصحو ساعة إلا أحس وشعر بهذا الألم، فبادرَ إلى إزالته بسكر ثان، فهو هكذا مدة حياته، وأي عيشة أضيق من هذه لو كان للقلب شعور؟!

فقلوب أهل البدع، والمعرضين عن القرآن، وأهل الغفلة عن الله وأهل المعاصي في جحيم قبل الجحيم الأكبر، وقلوب الأبرار في نعيم قبل النعيم الكبير ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) ﴿١﴾ هذا في دورهم الثالث، وليس مختصاً بالدار

(١) سورة الإنفطار، الآيات ١٣-١٤.



الآخرة - وإن كان تمامه وكماله وظهوره: إنما هو في الدار الآخرة - وفي البرزخ دون ذلك^(١).

❁ والأشد من المعرض من يأكل بالقرآن:

فمن الناس من اتخذ تلاوته وتجويده لآياته حرفة يأكل من ورائها فتارة يقرؤه على الأموات، وتارة في الحفلات والمناسبات، وتارة أخرى في الموالد التي ما أنزل الله بها من سلطان.

فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (تعلموا القرآن وسلوا الله به الجنة، قبل أن يتعلمه قوم يسألوا به الدنيا، فإن القرآن يتعلمه ثلاثة: رجل يباهي به، ورجل يستأكل به، ورجل يقرأه الله عَزَّ وَجَلَّ)^(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به

(١) مدارج السالكين (ص ٤٢١).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة المجلد الأول رقم الحديث ٢٥٨.



عرضاً من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة: قال سريج في حديثه: يعني ريحها^(١).

جعلنا الله وإياكم ممن يتلون كتابه ويعملون بما فيه ابتغاء مرضاته، وأن يرزقنا الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة وأن يشرح صدورنا لتلاوة كتابه وتدبر آياته والعمل بمحكمه والإيمان بمتشابهه، وأن يثبتنا على ذلك حتى نلقاه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، ونصلي ونسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.



(١) رواه أحمد وغيره.

المراجع

- ١ (كتاب الروح لابن القيم.
- ٢ (حالنا مع القرآن عبدالكريم العلي.
- ٣ (كتاب الفوائد لابن القيم.
- ٤ (مقدمة شرح أصول التفسير تحقيق د . عبدالله الطيار.
- ٥ (حلية الأولياء.
- ٦ (مفتاح دار السعادة لابن القيم.
- ٧ (تفسير القرطبي.
- ٨ (تفسير ابن كثير.
- ٩ (مدارج السالكين.
- ١٠ (الصواعق المرسلة.
- ١١ (تفسير القرطبي.

الفهرس

- توطئة بين يدي الكتاب ٣
- حالنا اليوم مع القرآن الكريم ٥
- المطلب الأول : تلاوته كما أنزل ٩
- المطلب الثاني : تدبر آياته ١٢
- المطلب الثالث : العمل به ١٦
- المطلب الرابع : الصبر على ما فيه ٢٥
- المطلب الخامس : الدعوة إلى تحكيمه ٢٨
- المراجع ٣٥



إن هاجس كل مسلم - أحب الخير لنفسه
وللمسلمين - أن يرى عباداته ومعاملاته وسلوكه
وأخلاقه مستضيئة ومهتدية بنور الكتاب والسنة وألا
يقف عند تلاوته وحفظ آياته بل يتعدى ذلك إلى ترجمة
المعاني إلى أقوال وأعمال ومعاملات في مختلف ميادين
الحياة في المسجد والبيت والعمل والجامعة والمدرسة
ومع المجتمع بصفة عامة.

ولعل هذه الرسالة على قصرها مساهمة وتذكرة
لكاتبها ولمن قرأها من إخوانه ووسيلة قياس وتقويم
لحال كل واحد منا مع كتاب الله تعالى وأثره في واقع
حياته، وبالتالي نتدارك ما بقي من أعمارنا ونتخلق
بأخلاق قرآننا وما جاء في سنة نبينا عليه أفضل الصلاة
والتسليم الذي كان خلقه القرآن.

الطبعة الأولى

١٤٢١ هـ

رقم الإيداع: ٢١/٥٠١٨ ردمك: ٧٨٤-٤-٢٨-٩٩٦٠